نظام التجنيد وحمل السلاح عبر التاريخ

الأستاذة/ بوشناق خدوجة

قسم علم الاجتماع/ جامعة الجزائر2

الملخص:

يتبين من خلال القراءات التاريخية في ميدان العسكرية والحروب، بأن معظم الشعوب على مَرِ العصور والأمكنة قد ناضلت من أجل المدافعة على أوطانها وتربتها التي ارتبطت بها ارتباطا وثيقا، بِحِس جماعي يجمع الافراد في بوتقة واحدة من القيم والعادات والعقيدة، ويشركهم جميعا في نظام واحد يحقق لهم مصالح مشتركة.

ولقد اعتبر نظام التجنيد أحد الانظمة التي طرح بشدة عبر عصور مختلفة، واختلفت عنه أوجه النظر باختلاف الايديولوجيات والعقائد والأفكار، أدت إلى تغير مدلوله واختلاف تطبيقه على الميدان، إلى أن وصل مدلوله يعني ما نعيشه اليوم في عصرنا الحالي.

نحاول في مداخلتنا هذه – في سياق النقاش ضمن السيرورة التاريخية – أن نقترب من نظام التجنيد وحمل السلاح عبر التاريخ، بتحديد مفهوم التجنيد أولا، ثم إلى التجنيد عبر العصور ثانيا، لنصل في الاخير إلى نظام التجنيد في الاسلام، والذي يعتبر ميراثا ورثه سكان المغرب الكبير.

تمهيد:

الكتابة في نظام التجنيد هو محاولة لاقتحام ميدان بحوث سوسيولوجية القوات المسلحة من بناء، وتنظيم، ووظائف، وديناميكيات عسكرية.

وفي هذا الجانب نحاول تقديم معالجة تحليلية لسيرورة نظام التجنيد منذ أن أصبحت هناك ضرورة ملحة للمدافعة، وذلك من خلال عملية التجنيد الذاتي

القائم على التطوع من جهة، وعملية التجنيد المفروض القائم على الواجب من جهة اخرى.

1)- ماهية التجنيد الاجباري والدفاع في ظل التغيرات:

يعرف التجنيد بالخدمة العسكرية وهي "مشاركة الأفراد في سن معينة في الدفاع الوطني لمدة محددة"[1] آخذا بذلك طابعا عسكريا محضا، لكنه يعرف كذلك بالخدمة الوطنية وهو "مجموعة من الواجبات (خدمة عسكرية أو مدنية) "[2] آخذا بهذا طابعا عسكريا ومدنيا في نفس الوقت، وهو يعرف كذلك بأنه "دعوة المواطنين القادرين أو فئة منهم إلى خدمة العلم"[3]، وتأخذ طابعا إلزاميا لتتميز بهذا عن الخدمة الطوعية في الجيش المحترف، حيث ينخرط كل مواطن يرغب في الخدمة العسكرية و" يتعهد فيه ... بالعمل في القوات المسلحة بمحض إرادته خلال فترة معينة من الزمن "[4].

ورغم أن نظام التطوع كان ولا يزال يجسد المصدر الرئيسي للحصول على القوات البشرية في الجيوش، إلا أن نظام التجنيد ومنذ أن عرف يستهدف كذلك تحضير قوات بشرية احتياطية تسد النقص الذي قد تتعرض إليه القطاعات الحربية عند اللزوم، وتثبت بذلك فكرة تكوين جيش دائم من خلال التجنيد الإلزامي من جهة، ومن خلال التجنيد التطوعي غير الإلزامي من جهة

1- أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**، مكتبة لبنان، لبنان، 1978، ص. 267.

2- **le petit larousse illustré**. Larousse. France. 2000. P.(936).

3- الأيوبي الهيثم وآخرون: **الموسوعة العسكرية. ج1**. المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1981، ص. 253.

4- نفس المرجع، ص. (284).

أخرى ومن " الملاحظ أن العديد من الدول تلجأ إلى الصيغة الأولى أثناء الحرب فقط، ولكن البعض منها، ... تطبق ذلك أثناء فترات السلم أيضا "[1].

وباعتبار أن هذه الخدمة إلزامية عدت من بين الواجبات الوطنية، على كل المواطنين الذين تتوفر فيهم بعض الشروط التي تحددها قوانين التجنيد في كل بلد متبني هذه العملية من حيث: السن، اللياقة البدنية والصحية ...

ولقد حدد واجب الخدمة الوطنية في الجزائر على أنه "تجنيد الطاقات البشرية للبـــلاد" [2] وهو "مشاركة كاملة من طرف كل المواطنين في جميع المهام ذات المصلحة الوطنية وفي تسيير مختلف القطاعات الاقتصادية والإدارية واحتياجات الدفاع الوطني"[3]، وبذا تتميز من خلال التعاريف السالفة الذكر الخدمة العسكرية عن الخدمة الوطنية، بكون الأولى خدمة عسكرية مطلقة في حين ينادي عليها باسم الخدمة الوطنية عندما يدخل عليها بعض الأشكال المدنية في التكوين والتوجيه.

ولقد برزت أهمية تجنيد الطاقات البشرية باتساع رقعة الحروب وتهديدها لاستقرار الشعوب وأمنها، فعملت كل دولة متبينة لنظام الخدمة العسكرية أو الوطنية الإلزامية على تحديد قوانين خاصة ونصوص تطبيقية تعمل على تنظيم وتطبيق الخدمة من حيث المدة، الهيئات، السير، ... وذلك من أجل تحضير الطاقات الشبانية للتعبئة العامة.

1- د.الفارسي عبد الرزاق: **السلاح والخبز، الانفاق العسكري في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1993، ص. 45.

2- وزارة الدفاع الوطني، المحافظة السامية للخدمة الوطنية، الأمانة العامة: **النصوص الأساسية والنصوص التطبيقية للخدمة الوطنية (1968-1976)**، مكتب الإعلام والصحافة، الجزائر، (بدون سنة)، ص. 07.

3- نفس المرجع، ص. 07.

وهكذا يتبين من كل التعاريف المدرجة أعلاه كذلك، بأن الهدف الأساسي من التجنيد هو الدفاع*[1] عن الوطن ووحدة ترابه. وتعتبر هذه المهمة واجب وطني ينبغي أن يتحمله كافة الأفراد بتباين خلفياتهم الاجتماعية ويمكننا أن نخص بالذكر في هذا المضمار بأن النظرية الاقتصادية في هذا الإطار تعتبره سلعة عامة إذ "مثله مثل خدمات الأمن والعدل هو من السلع العامة الخالصة، ... تتمتع بعدم التجزئة، أي أن استهلاكها يكون من قبل جميع أفراد الشعب دون اعتبار لمراكزهم الاجتماعية أو المادية، أو لمساهمتهم الضريبية، فخدمة الدفاع تشمل كافة المقيمين في الدولة، ولا يمكن استثناء فرد أو فئة من التمتع باستعمالها"[2].

لكن، هذه المهمة لا يمكنها أن تتأتى بصورتها الكاملة دون أن يتذوق الفرد الحياة العسكرية ويتلقى تربية عسكرية**[3] محضة داخل الثكنات العسكرية المجهزة من أجل هذا النوع من التنشئة الاجتماعية، وذلك لأن الدفاع كمظهر من مظاهر الوطنية يجب أن يدعم ببعض المعارف العسكرية والتقنيات التي من

1-*- **الدفاع** من دافع، يدافع دفاعا ودافعة بمعنى حامي عنه وانتصر له، ومنه جاءت تسمية وزارة الدفاع أي الوزارة التي تتولى الدفاع عن البلاد وإعلان الحرب على الأعداء (ومرادفاتها وزارة الحرب، وزارة الحربية)... من: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: **المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها**، لاروس (دون ذكر البلد)، 1989، ص . (454).

2- د. الفارس عبد الرزاق: مرجع سابق، ص. (44).

3**- **التربية العسكرية**: هي مجمل التدابير التي تجعل العسكري يتذوق حياة الجندية، ويؤمن بالحياة الاجتماعية، و يطبق الانضباط بوعي كامل، ويتمسك بفكرة الواجب، وضرورة تنفيذ المهمة المقدسة مهما كانت الصعاب والعقبات، لكن هذه الأمور لا يمكن أن تتحقق من خلال المحاضرات النظرية، ولكنها تأتي من الممارسة اليومية والثقة بالقيادة، وتقديس الهدف، وهي تنمو ذاتيا لتحقيق ضرورة حيوية، وتصل إلى أعلى درجاتها في أي مجتمع عسكري صحيح يؤمن إرادة بأن عليهم أن يقاتلوا دفاعا عن قضية عادلة ... من:

الأيوبي الهيثم وآخرون (01): المرجع السابق، ص. 266.

شأنها هي أيضا أن تخلق بعض القيم الإيجابية في شخصية الفرد إذا ما وضع في البيئة الاجتماعية التي تناشد تحقيق هذا الهدف.

ولأن العالم في تطور مستمر والأفكار والوضعيات تتطور بصفة سريعة، إضافة إلى أن التبادل آخذ مجال العالمية، وهي الميزة الأساسية للعالم المستقبلي، كما أن الأمم الغنية بدأت تنتقي نحو المجالات الاقتصادية والثقافية، يمكن من جراءها أن تخلق صراعات قد تجر إلى المجابهات العسكرية عندما تتعرض المصالح الحيوية إلى الخطر[1]، غير أن البعض يرى بأن التجارب السياسية العالمية الأخيرة، قد أظهرت جليا بأن فكرة رفع البنية العسكرية (الإكثار من عدد الجيش) غدت فكرة قديمة جاءت نتيجة الإصلاحات العميقة التي طرأت على نسق الاحتياطات، ونتيجة لتقنيات الجيوش المعاصرة التي برزت، ولقد ظهرت هذه الأخيرة أكثر فعالية باحترافها، وتدقيق منظمتها، وسرعة إرادتها، ... عوضا من عدد مقاتليها[2].

وتجسد هذه النظرية مظهر من مظاهر رفض الخدمة الوطنية بمفهومها الحالي، ومحاولة تطبيع لتعديلها في إطار جديد يتجه إليه معظم جيوش العالم وهو الجيش المهني، الاحترافي الذي يناشد فكرة الكيف في التعبئة الحربية ولا فكرة الكم.

وتتعدد أسباب فكرة رفض الخدمة الوطنية في البلدان عند الكثيرين، وتتعدد رؤاهم بتعدد الزوايا التي ينظرون منها إلى ماهية التجنيد.

1- بتصرف في الحذف والتركيب من وثائق أنترنيت:

FPF : **Eléments de réflexion à propos du service national**. Date de parution : 17 janvier 1996. http://www.protestants.org.télécharger le 26/06/2000. P.(1/5).

2- نفس المرجع، ص. (2/5).

فمنهم من يؤمن بأن "الخسائر في حروب المستقبل سوف تكون أكبر مما كانت عليه في الماضي بما لا يحتاج مقارنة [إذ أن] إدخال التجنيد الإجباري العام في جميع البلدان تقريبا يزيد من عدد ضحايا الحرب لأنه يؤخر من اللحظة التي يتم فيها استنزاف العدو، وعلاوة على ذلك فقد [تكون] الزيادة في الخسائر محتومة على ضوء ما سيتم استخدامه من أسلحة جديدة فتاكة"[1].

وهناك من لا يناشد الفكرة بسبب ميزانية الدفاع*[2] والتكلفة الاقتصادية التي تنتج من جراء تجنيد قوات بشرية كثيرة، "فالتجنيد الإلزامي قد يولد جانبين من جوانب التشويه في الهيكل الاقتصادي.

1- الخسائر الاقتصادية التي تتمثل في تكلفة الفرصة البديلة للقوى العاملة المنخرطة في خدمة الدفاع، التي تساوي الأجور التي يمكن لهؤلاء الحصول عليها في حالة عدم الانخراط في الخدمة العسكرية.

2- احتمال أن التجنيد الإلزامي يؤدي إلى تدهور أداء المؤسسة العسكرية، حيث أن انخفاض تكاليف هؤلاء المجندين قد يقود إلى ميل المؤسسة العسكرية إلى بناء جيش كبير العدد، ولكن ضعيف من حيث السلاح، وبالمقابل، فإن الجيش التطوعي سيستلزم البحث عن أكفا الطرق للدفاع والتي قد تعني المزيد من المعدات الحربية وقليلا من الرجال"[3].

1- ب. أورسلان: **الحروب والسكان**. تر. رحمي و أحمد القصير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1974، ص. (392).

*- تعتبر ميزانية الدفاع ونسبتها إلى الدخل القومي وتوزيعها على أبواب الصرف المختلفة المؤشر الأول على مدى اهتمام الدولة بشؤون الدفاع من: تعتبر ميزانية الدفاع ونسبتها إلى الدخل القومي وتوزيعها على أبواب الصرف المختلفة المؤشر الأول على مدى اهتمام الدولة بشؤون الدفاع من:

2- سعد الدين الشاذلي: **الخيار العسكري العربي**. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984. ص (233).

3- د. الفارس عبد الرزاق: مرجع سابق، ص. (45).

وهكذا تبرز من كل الأفكار السالفة الذكر فكرة الجيش المهني والاحترافي الذي تحاول جل الجيوش العالمية مواكبته، لكن الفكرة تطرح إشكالية مستقبل الخدمة الوطنية في خضم التحول وفي خضم الحاجة إلى الأمن وضرورة الدفاع عن الوطن مهما كان باعتبار أن "الدفاع عن التراب الوطني ضد أي تهديد، لا يأخذ بالضرورة الشكل العسكري، وإنما يمكن أن يطرح تكيفه...لأخطار متعددة: كتهريب المخدرات، الإرهاب[1]، لذلك تطرح الفكرة اقتراحات عديدة في هذا النطاق وهي:

1- إما أن يحتفظ بمبدأ التجنيد الإجباري، بتطبيقه في إطار الخدمة العسكرية العالمية ذات مدة قصيرة أو خدمة وطنية service civique بسيطرة مدنية (تهتم بالأمن، الدفاع، التضامن، الانسجام الاجتماعي، المشاركة، الفعل الإنساني).

2- أو تأسيس خدمة وطنية service civique اختيارية تحذف مبدأ الإجبارية القانونية للتجنيد[2].

وهكذا، فإن احترافية الجيش تقتضي اختيار أحد الأمرين وهما إما إعادة النظر في أسس الخدمة الوطنية وفي دورها الذي يحدد من خلال المكانة التي تخصص لها في خضم الجيش المحترف، وبعد تعديلها سواء فيما يخص مدتها، ظروف تأديتها ... أو إلغائها كليا من أجل التحول إلى الجيش الاحترافي المطلق ARMEE PROFESSIONNELLE / ARMEE DE METIER[3*].

1- بتصرف في الحذف من وثيقة أنترنيت:

SENAT : l'avenir du service national. Rapport N° 349/1995/1996// commission des affaires étrangères ; de la défense et des forces armées. P.(17).

http://www.senat.fr/etr . Télécharger 2/06/2000.

2-Ibid. p.(11).

3*- إن هذا المنهج يوافق النموذج المعتمد من طرف بريطانيا وفرنسا من بعد.

علما أن بلدان كثيرة أدرجت أوضاعها في الإطار العالمي، ثبت لديها الاستقرار وعدم احتمال وجود أي خطر أو عدوان خارجي. لم تعتمد فكرة إلغاء الخدمة الوطنية، بل عمدت إلى تعديل هذه الأخيرة تحت إطار احترافية جيشها...، ذلك لأن ثمة أسباب جديرة فعالة تدعو إلى الاحتفاظ بالخدمة العسكرية يمكن تعدادها كالآتي:

-" المسؤوليات التي يجب أن يتحملها المواطن عندما يتعلق الأمر بحياة الجماعة (مسؤولية البناء، مسؤولية التنمية، مسؤولية الدفاع...).

- ضرورة التساوي بين الأفراد (التساوي في واجب الدفاع).
- خطر الجيش الاحترافي على الأمة، إذا ما شكل قوة منفصلة عنها."[1].

وهكذا، نجد بأن الآراء حول واجب الخدمة الوطنية تتعدد بين الرفض والقبول "فالبعض يطالب بإلغاء الخدمة العسكرية، باسم السلم، والبعض يطالب بتخفيض المدة ... والبعض الآخر يطالب بتطوير أشكال الخدمة الوطنية"[2]، لكن جل المطالب تطرح فكرة تكلفة ونجاعة المجند الذي تولى له مهمة الدفاع وحماية الوطن وترابه ومؤسساته، بمعنى فكرة أثر المجند على الصعيد الوطني في كل المجالات التي شهدت تغيرات وتطورات كثيرة تبعا لتغيرات وتطورات المجتمعات ككل.

1- FPF: op. cit., p. 3/5.

2- Guy Michel CHAUVEAU: **Le service National,** la documentation française, Paris, 1990, p. 07.

2)- التجنيد عبر العصور:

لقد بينت الدراسات التاريخية في ميدان العسكرية، أن التجنيد قد مر بمراحل عديدة عبر العصور إلى أن وصل مدلوله يعني ما نعيشه اليوم في عصرنا الحالي، ولقد أثبتت كذلك بأنه ومنذ أن ابتعد الإنسان عن حياة الترحال والتنقل التي كانت تمتاز بها القبائل البدائية في العصور القديمة، تميز المحارب عن المزارع غير المقاتل وبالتالي بين الحضارة الزراعية والحضارة البدائية القبلية، أما في عصر الإقطاع فقد كان الفرسان ومساعدوهم لا يشكلون سوى جماعة صغيرة من السكان عندما يدعون للخدمة تحت السلاح، ولكن المدنيون في ذلك العصر كانوا مستعدين دائما للمساهمة في الحروب، و لم تكن فكرة القبيلة المسلحة فكرة جديدة رغم أنها تختلف عن التجنيد القومي القديم الذي لم يكن يدعو إلى حمل السلاح سوى في زمن الحرب[1].

ولقد بدا من التاريخ العسكري بأن "ماكيافيلي" (فيلسوف سياسي ايطالي 1527/1469) هو صاحب فكرة الجيوش المجندة الدائمة إذ أنه وضع في عام 1506 المذكرة الشهيرة التي صدرها القانون المعروف بقانون 1506 والذي يفترض الخدمة الإلزامية في فلورنسا(مدينة في الجزء الشمالي من وسط ايطاليا)، على الأفراد الذين تتراوح أعمارهم بين سن الثامنة عشرة والثلاثين عاما، لكن القانون هوجم كثيرا وقال فرانسيس بيكون (فيلسوف ورجل دولة وكاتب انجليزي 1626/1561): "في دراسة" محاولة في وحدة الدين: أن "وضع السيف، مؤقتا بيد عامة الشعب هو عمل خطير" ونتيجة للمعارضة المختلفة، لم يصبح التجنيد العام في حيز التنفيذ الكامل إلا في عهد الثورة

1- بتصرف في الحذف والتركيب من: المقدم الأيوبي الهيثم 1: مرجع سابق، ص. (253).

الفرنسية (المندلعة في الرابع عشر من يوليو عام 1789 والممتدة الى 1799) عندما صدر مرسوم المؤتمر "convention"[1].

ومنذ ذلك الحين، أخذ التجنيد الإجباري يختلف أسلوبا باختلاف المجندين من جهة، و مدة الخدمة من جهة أخرى، إذ سجل التاريخ بأن هذه الأخيرة أخذت تتقلص من خمس سنوات في عهد ميكيافيلي، حتى ثلاث سنوات، فسنتين، فثمانية عشر شهرا ثم سنة واحدة في بعض البلدان[2].

وهناك من تبنى منهجا جديدا فيما يخص هذا الواجب تحت إطار الجيش الاحترافي العصري وأنجزوا ما سمي بمسار المواطن "parcours citoyen" الذي يتضمن يوم نداء من أجل التحضير للدفاع" [3]*.

ومن جهة أخرى، فإن هذا الواجب كان يخص طبقة معينة من الشعب بسبب نظام "البدل" الذي كانت تتبناه بعض الدول والذي كان يحدث فروقا اجتماعية متباينة و"البدل والقانون العسكري هو مبلغ من المال يدفعه المدعو إلى الخدمة العسكرية في بعض الجيوش ليتم إعفاؤه من هذه الخدمة رغم عدم وجود معوقات أخرى تبرر هذا الإعفاء"[4]، فرغم أن الفكرة غير عادلة تلقى على عاتق الفقراء مهمة غير سهلة، إلا أنها كانت تسمح للدول جمع المال اللازم من أجل سد ضخامة الأعباء المالية التي يتطلبها إعداد الجيوش وتعبئتها المادية.

1- طلاس مصطفى: **الرسول العربي وقت الحرب مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة**، دمشق، 1972، ص. (252).

2- الأيوبي الهيثم 1: مرجع سابق، ص. (253).

3- le petit Larousse illustré, P cit, p. 936.

*- تعد فرنسا أحد البلدان الحالية التي أقرت هذا المسار بعد احترافية جيشها، فمنذ قانون 28 أكتوبر 1997، عوضت الخدمة الوطنية الإجبارية التي كان معمول بها سابقا بخدمة تطوعية مدتها من 1 إلى 5 سنوات، وكل الفرنسيين المولودين بعد 31 ديسمبر 1978 فرض عليهم ما سمي بمسار المواطن.

4- الأيوبي الهيثم 1: مرجع سابق، ص. (173).

لكن فكرة التجنيد قد تطورت مثلما تطورت أفكار كثيرة في المجتمع وتغيرت و"اتجهت أنماط القاعدة الاجتماعية للتجنيد في غالبية الجيوش إلى الالتقاء عبر نقطة واحدة تنحصر في التأكيد على الانتخاب الوطني للمجندين استنادا إلى المؤهلات التعليمية والمؤشرات الأخرى المقررة في مقاييس التجنيد، وبالتالي لجأت غالبية الأقطار العربية إلى تغيير جذري في وسائل وأساليب التجنيد التي اتبعتها الدول الاستعمارية الساحقة والحكومات الوطنية التابعة لها، سواء من الناحية الاجتماعية أو الإقليمية، وهكذا تم إقرار مبدأ الخدمة العسكرية الوطنية، واعتماد نظام التجنيد الإجباري العام وألغيت فكرة "البدل النقدي"من غالبية الجيوش"[1].

ولقد شهد التاريخ أنواع فريدة من التجنيد: كالتجنيد بالقرعة التي قد تصيب خبط عشواء فئة معينة من المواطنين القادرين كما أن الطريقة استخدمت كذلك عندما يفوق عدد المطلوبين للقرعة، العدد اللازم للقوات المسلحة أو عندما لا يسمح الوضع الاقتصادي للبلد من تجنيد كافة المطلوبين للقرعة، ولقد امتد في بعض الأحيان ليصيب كل القادرين على حمل السلاح أو حتى الخدمة الميدانية فجندت النساء كما جند الكهول والفتيات[2]*.

1- د. حماد مجدي: **العسكريون العرب وقضية الوحدة**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1987، ص. (182).

2- الأيوبي الهيثم 1: مرجع سابق، ص. (253).

*- لقد اعتمدت بعض الجيوش فكرة تجييش الشعب، وفي ذلك مثل إسرائيل التي تعتبر الشعب كله جيشا لها، ففرضت إجبارية الخدمة العسكرية على جميع الرجال والنساء، فيخدم الرجال في القوات العاملة 39 شهرا، ثم يخدمون بعد ذلك في القوات الاحتياطية حتى سن 54 سنة، أما بالنسبة للنساء فتخدمن في القوات العاملة 24 شهرا ثم تخدمن في القوات الاحتياطية حتى سن 34 سنة، إذا لم يكن لهن أطفال. بتصرف من: الشاذلي سعد الدين: المرجع السابق، ص. (34).

وإذا نظرنا إلى فكرة تجنيد الشعب وحمل السلاح عبر العصور من الزاوية العقائدية ، نجد أن المسيحيين الأوائل في القرون الاولى والعصور المبكرة اعتبروا -بحسب المؤرخين- العسكرية والحرب مفاهيم مناقضة للمسيحية، والتي جاءت كديانة مسالمة. ويرجع سبب التزام السلمية ورفض الخدمة العسكرية حسب المؤرخ مارك المان إلى مبدأين: أولًهما كان ينظر إلى استخدام القوة والعنف كتناقض مع تعاليم سيدنا عيسى علية السلام. وثانيهما كان ينظر إلى الخدمة في الجيش الروماني كنوع من العبادة المطلوبة لتأليه الإمبراطور الذي هو شكل من أشكال الوثنية بالنسبة للمسيحيين.

نشير بأن ظهور سيدنا عيسى بن مريم عليه السلام جاء في عصر احتدم فيه الصراع بين بني قومه وهم السكان اليهود، والرومان المحتلين للأرض، أي بين الشريعة الموسوية والشريعة الروماني، ولقد جرت الدماء سفاحا في هذا النزاع. رفض من خلاله اليهود الانصياع لحكم روما ودفع الضرائب لها من ناحية. ومن ناحية اخرى رفض الرومان احترام السنن الموسوية ولا سيما في ما يتعلق بالمأكل والمشرب والجنس[1].

ونتيجة لهذا المنهج ذو اسس اللاعنف والتسامح والغفران، والخير والسلام الذي تبناه سيدنا عيسى عليه السلام، ثار غضب بني قومه عليه من جهة، ومن جهة أخرى غضب الرومان على أتباعه فيما بعد بالنظر الى رسالة السلام التي اتبعوها القائمة على رفض حمل السلاح والانخراط في الجيش والاشتراك في الحرب الغير متفقة مع مصالح القيصر ومخططاته لتوسيع الامبراطورية وحماية حدودها.

1- بتصرف من: **أخلاق مسيحية**، ويكيبيديا الموسوعة الحرة.
http://ar.wikipedia.org/wiki/. Télécharger. 15/08/2014

وبناء على هذا، رفض مكسمليان أحد المسيحيين الأوائل "الانضمام إلى الجيش الروماني ورفض أن يكون محاربا لكونه مسيحيا بقوله للقاضي عند محاكمته «انني معروف بكوني مسيحيا وعليه فإنني لست محاربا «فحكم عليه بالإعدام ونفذت عليه العقوبة. وكذلك بالنسبة للضابط الروماني "مارسيلوس" الذي استنصر ثم تقدم إلى كتيبته العسكرية فنزع ذروعه وألقى بها على الأرض قائلا: "على المسيحي ألا يحمل السلاح"، ووصل الموقف ذروته في القرن الرابع، فاضطرت السلطات إلى إصدار أوامر خاصة تتعلق بوضع المسيحيين حيال الخدمة العسكرية، وقضت الكنيسة الأرثودوكسية على المسيحي الذي يعود من الجيش بتقديم كفارة خاصة، كما أمرت الداخلين إلى الجيش لأول مرة بعدم قتل عدوهم في الحرب، وبحرمان من يخالف ذلك من الغفران لمدة ثلاث أعوام.

وفي عام 431م.، وعد الأسقف "نول" كل من يخدم القيصر عسكريا بعذاب أبدي بفتواه، وبالطبع وجهت التهمة إلى المسيحيين بأنهم يتهربون من الجندية، وأنهم يسببون زوال الإمبراطورية الرومانية إذا استنصرت، ولقد اعتبرت هذه المسألة سببا من اسباب الحملة الشنيعة التي شنتها روما ضد المسيحيين فراحت ترمي بهم طعاما للأسود وفريسة للمصارعين.

بيد أن تحول روما إلى المسيحية باعتناق قسطنطين لهذه العقيدة اتخاذه إياها كدين رسمي للدولة،و استنصار معظم الشعب، ذوّب معظم هذه الأفكار تدريجيا، حتى أصبح الصليب في الأخير شعارا وراية للجيوش الفاتحة، وبهذا واجه رجال الكنيسة حيرة خاصة في التوفيق بين ضرورات السياسة والحكومة في المدافعة عن الممتلكات من ناحية وتعاليم المسيح والمسيحية من ناحية أخرى.

وتوصلوا في الأخير إلى مفهوم "الحرب العادلة" التي أجازت للمسيحيين إمتشاق السيف وقتل العدو، وأصبحت فكرة الحرب العادلة التي كانت تحدد

من طرف القيصر من أكثر الأفكار السياسية الدينية غموضا وتلاعبا بعد أن راح كل طرف محارب يدعي لنفسه عدالة القضية[1].

انتبه اخيرا بعض كهان الكنيسة البروتستانتية في القرن السادس عشر إلى هذه المغالطة وكل ما اخذ يحط من القيم الدينية الاصيلة. إذ ظهر بينهم القس "مينو سيمونز" في ولاية فريدلاند من أواسط أوروبا، فدعا إلى الرجوع إلى القيم الاساسية الاصلية للدين المسيحي ونمط حياة المسيحيين الأوائل، وكان من ذلك رفض الخدمة العسكرية والامتناع عن المشاركة في اي حرب أو قتال. وسرعان ما انضم اليه اخرون فعرفوا بين الناس باسم المنونايت. وبالطبع اثار ذلك غضب السلطات التي كانت في أحوج ما يكون إلى الجنود والمقاتلين، فشرعت باضطهادهم وتكفيرهم. فاضطر المنونايتيون إلى الهجرة إلى روسيا التي كانت عندئذ بعيدة عن المنازعات الأوربية وربما لأنه كان عندها ما يكفي من الرجال للجيش. فأسسوا هناك قرى زراعية عاشت بهدي السنن المسيحية الأولى. ولكن سرعان ما انقلبت الأوضاع عليهم عند دخول روسيا هوس التوسع العسكري في القرن التاسع عشر واحتياجها إلى مزيد من الجند. فشرعت هي الأخرى في اضطهادهم بما اضطرهم للهجرة إلى امريكا وكندا.

لكن مجيئ الإسلام من جهة أخرى جاء بصور وقواعد مضبوطة في ما يخص هذا المجال سبق وأن تطرقنا إليها وفي ما يلي تفصيل فيما يخص التجنيد تحت راية الإسلام وقادته وباسم مبدأ الجهاد في جميع ربوع العالم الاسلامي. والمغرب العربي جزء من هذا العالم.

1- بتصرف في التركيب والحذف من: القشطيني خالد: **نحو اللاعنف**، دار الكامل للنشر والتوزيع، عمان، 1984، ص. ص. (40- 41).

3)- التجنيد في الإسلام وقادته:

يؤكد التاريخ الإسلامي وتاريخ الحروب في ظله أن الرسول "صلى الله عليه وسلم" القائد الأول لجيش الفتح الإسلامي طبق "مبدأ الحروب الشعبية في جميع حروبه وغزواته"[1]، ذلك لأنه كان يستنفر طوعا لا إلزاما كافة القوى البشرية والإمكانات التي تمكنه من كسب المعركة، وتحقيق الهدف في نشر الإسلام، ورغم أن عملية الاستنفار والتعبئة العامة في زمن الرسول الكريم "ص" لم تكن إلزامية بصفة ملموسة، إلا أن مبدأ الجهاد في سبيل الله كان يفرض على كل من اعتنق الإسلام المشاركة في حمايته ونشره بصفة طوعية، ذلك لأن الإلزام كان معنويا ومحسوسا أكثر، فلم يتأخر المسلمون في ذلك العصر للتضحية بكل ما يملكون إلى درجة الاستماتة من أجل تحقيق الهدف السامي في نشر الإسلام والدفاع عنه.

ولقد تأكدت هذه التضحية في العام التاسع للهجرة عندما ندب الرسول الكريم "ص" قتال الروم في غزوة تبوك، فحشد إثرها ثلاثين ألف مقاتل و لم يتخلف عن المعركة سوى ثلاثة من المسلمين، وثبت أن التاريخ بأكمله لم يسجل تعبئة بشرية مثل هذه التعبئة التي زاد الرسول "ص" تدعيمها بحث المسلمين على الإنفاق والبذل لتجهيز الجيش وتعبئته ماديا، وفعلا غدت هذه الغزوة مثلا في تعبئة الموارد البشرية والمادية[2].

ولقد تابع الخليفة أبو بكر الصديق "رضي الله عنه" نفس المنهج النبوي في تعبئة الجيوش بشريا، وكانت الدعوة تلقى لكل مسلم قادرا على استخدام السلاح أو الإسهام بالمجهود الحربي من نساء، رجال، صغارا وكبارا. وكلما

1- العسلي بسام: **فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين**، دار الفكر، بيروت، 1974، ص. (16).

2- بتصرف من: طلاس مصطفى: مرجع سابق، ص. (263).

توسعت رقعة المعارك عند المسلمين، أيقن قادة الجيوش الإسلامية في زمن "أبو بكر الصديق" "خالد بن الوليد" و"المتنبي بن حارثة الشيباني" أن الطاقة البشرية التي كانت بحوزتهما لم تعد قادرة على تلبية متطلبات المعركة والقيام بالواجبات المحددة، ونتيجة لهذا، أذن الخليفة باستنفار كل القوى وحشد كل الامكانات مستثنيا من ذلك أهل الردة تأديبا لهم، وإشعارهم بفداحة الجرم الذي ارتكبوه، وفعلا تركت هذه العقوبة الرادعة أثرا كبيرا في نفوس المرتدين لا سيما عندما كانوا يعايشون انتصارات المسلمين[1].

وفي عهد الخليفة "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه، اشتد الضغط على المسلمين في المعارك بتوسعها أكثر من ذي قبل فسمح إثر هذا للمرتدين بالقتال مع المسلمين دون أن يسند لهم أدوارا قيادية، مستنفرا بذلك جميع المقاتلين خاصة الفرسان منهم والقادرين على ممارسة الأدوار القيادية، كل هذا كان تحت إطار الإلزام المعنوي الطوعي، الذي يفرضه مبدأ الجهاد، لكن كتب التاريخ الإسلامي الحربي، أكدت بأنه وبعد تعاظم الفتوحات الإسلامية واتساع الدولة الإسلامية بها، بدأ المسلمون ينصرفون عن الحروب إلى حياة الكمال والترف، وتثاقلوا عن الجهاد وتلبية النداء إليه، مما استدعى على الخليفة الراشدي "عمر بن الخطاب" تطبيق مبدأ التجنيد الإلزامي ليكون بذلك أول من تبنى نظام الخدمة العسكرية الإلزامية في الدولة الإسلامية، ويجمع بهذا في تعبئة الجيوش ما بين الاستنفار الطوعي والاستنفار الإلزامي، فقد صح عنه أنه بعث إلى "المثنى بن حارثة" يدعوه إلى التطبيق الصارم لمبدأ التجنيد على كل مسلم عاقل، بالغ و قادر قائلا: "لا تدعو ربيعة ولا مضر ولا خلقائهم أحدا من أهل النجدات، ولا فارسا إلا جلبتموه، فإن جاء طائعا وإلا حشرتموه "كما صح عنه أنه كتب

1- بتصرف في التركيب والحذف من: العسلي بسام: مرجع سابق، ص. (17).

لقادته" لا تدعو أحدا له سلاح أو فرس أو نجدة أو رأي، إلا انتخبتموه ثم وجهتموه إلي، والعجل".

وهكذا، توسع مجال الخدمة في عهد الخليفة عمر، فبدأ بتسجيل المقاتلين وإبدال من يريد ذلك، وتطوع عدد كبير من المسلمين، فشكل منهم جيش البدال[1]* للتعويض عن خسائر المقاتلين وأصبح التطوع في الجيش والاحتراف فيه يتماشى مع نظام التعبئة العامة.

وتجدر الإشارة إلى أن التجنيد الإلزامي في الدولة الإسلامية تمثل في نظامين أولهما هو التجنيد المنظم، وتكون لأفراده مرتباتهم من خزانة الدولة، على أن لا يمارسوا نشاط اقتصادي آخر، وثانيهما هو التجنيد التطوعي حيث يجند أفراده وقت الحروب ثم يسرحون ولهم حق ممارسة أعمال أخرى.

ولقد استمر النظام نفسه في عهد الخليفة الراشدي "عثمان بن عفان" رضي الله عنه، لكنه اختل بظهور الفتن الداخلية في عهد الخليفة الراشدي "علي بن أبي طالب" رضي الله عنه، وبعد هذا أعيد تنظيمه من جديد في عهد الملك بن مروان الأموي محافظين دائما على نوعي التجنيد الإلزامي والتطوعي، وطبق

1- *- يختلف البدل الذي سبق وأن شرحنا معناه عن البدال في كون هذا الأخير هو نظام تبديل الجند في صدر الإسلام، حيث كانت الدولة أنذاك معبئة ومستقرة بشكل دائم نظرا لظخامة الأخطار المحدقة بها وقوة الدافع المعنوي ... ولم يعرف المسلمون منذ معركة بدر الكبرى حتى نهاية عهد عمر بن الخطاب نظام التشريح المؤقت أو " البدال" ...، ويذكر أن أول من طبق هذا النظام، الخليفة أبو بكر ثم أخذ الخليفة عمر بن الخطاب من بعده به، فكان يبدل الجيوش بشكل مستمر حتى لا تطول غيبتهم عن أهلهم وعيالهم، وحتى يحصل المسلمون جميعا جميعا على شرف الجهاد بالتناوب، إضافة إلى العوامل الإنسانية والمعنوية، فلقد كان وراء نظام البدال عامل اقتصادي يتمثل في كون معظم المجاهدين من المتطوعين أو المجندين لم يكونوا مقاتلين محترفينيمتهنون الحرب، وكانوا إلى جانب هذا يمارسون أعمالا اقتصادية، لحقت بها أضرار بسبب غيابهم الطويل رغم ما كانوا يحصلون عليه في غنائمهم ... من:
الأيوبي الهيثم: مرجع سابق، ص. (172).

في ذلك العصر من طرف القائد العسكري "الحجاج بن يوسف الثقفي"، وهكذا أخذ التجنيد شكله المتكامل في عهد بني أمية.

من هنا، تأكد من أن نظام التجنيد الإجباري قد عدّل في أسس الحرب وخفض من تكاليف تجنيد الجيوش الذي كان يرتفع بشكل رهيب قبل تبنيه، و لم تكن الدولة تتكلف سوى بإصدار مراسيم الدعوة إلى خدمة العلم .ذلك بفضل نظام البدل.

ولقد استمرت الاحوال هكذا فيما يخص نظام التجنيد حتى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين مع الدولة العثمانية آخر دولة في الإمبراطورية الإسلامية والتي كانت تسمح لرعاياها بدفع البدل ولكن لم تكن تعفيهم من الخدمة الإلزامية في زمن السلم فقط، فإذا اندلعت الحرب طالبت دافعي البدل بدفع بدل آخر أو الالتحاق بالجيش لتأدية واجب الدفاع عن الإمبراطورية[1]، ولقد ثبت بأن الخدمة العسكرية في هذه الدولة كانت تعد بـــ "خمس سنوات ويختار الجند بالقرعة من بين أبناء الرعايا وبعد استكمال مدة الخدمة يرجع الجندي إلى حرفته أو تجارته، ويوتى بطائفة أخرى حتى تصير الرعية كلها جندا قادرة على المطالبة والمدافعة"[2].

وهكذا، نجد بأن نظام التجنيد والخدمة العسكرية الإلزامية قد سجل نفسه في التاريخ العسكري للجيوش الإسلامية، وانفردت بازدواجية الإلزام – المعنوي الذي يقوده مبدأ الجهاد والمادي الذي يقوده مبدأ التجنيد– ولقد

لأكثر دقة و تعمق عد إلى:

1- السويدي محمد: **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر**. ديوان المطبوعات الجامعية. الجزائر. 1990. ص .ص (54،55).

2- بن عبد الله عبد العزيز:**الجيش المغربي عبر العصور**.المكتبة العالمية.الرباط.1986.ص(74).

احتفظت الدول الإسلامية عليه بعد استقلالها من الدول التي استعمرتها نتيجة ضعف الدولة العثمانية وانهيار الإمبراطورية الإسلامية على إثر ذلك.

والجزائر هي إحدى الدول العربية المسلمة التابعة للمغرب العربي الكبير، والتي توخت هذا المنهاج قبل وبعد استقلالها[1].

خاتمة:

تؤكد كتب التاريخ كلها،بأن نظام التجنيد عبر العصور،باختلاف الشعوب والديانة والقيم والعادات. قد مرت بتغيرات كثيرة جسدت مدى عمق التباين والاختلاف في فكرة النظام بحد ذاته. ولعل أهم نقطة يمكن لنا تأكيدها بفعل هذه التجارب الطويلة المستوحاة من التاريخ هو أن فكرة التغيير والتبديل مازالت قائمة في هذا المجال. وفي ذلك مثل نظام التجنيد في الجزائر الذي أقر فكرة الالزامية من بعد نشأة جيش الشعبي الوطني سليل جيش التحرير الوطني. وما مدى تغير هذا النظام فكرة وتطبيقا.

لأكثر دقة في موضوع الخدمة الوطنية عد إلى المرجع التالي :

1- بوشناق خدوجة:**الشباب بين التكلفة الاجتماعية للخدمة الوطنية و التكلفة الاجتماعية لمقاومتهم له**.رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي.قسم علم الاجتماع.جامعة الجزائر.2001.2002.

قائمة المراجع:

باللغة العربية:

1- بوشناق خدوجة: **الشباب بين التكلفة الاجتماعية للخدمة الوطنية والتكلفة الاجتماعية لمقاومتهم لها**، رسالة ماجستير في علم الاجتماع التربوي.قسم علم الاجتماع، جامعة الجزائر، 2001، 2002.

2- أحمد زكي بدوي: **معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية**. مكتبة لبنان. لبنان. 1978.

3- الأيوبي الهيثم وآخرون: **الموسوعة العسكرية. ج1**، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، 1981.

4- الفارسي عبد الرزاق: **السلاح و الخبز، الانفاق العسكري في الوطن العربي**، مركز دراسات الوحدة العربية، لبنان، 1993.

5-وزارة الدفاع الوطني، المحافظة السامية للخدمة الوطنية، الأمانة العامة: **النصوص الأساسية والنصوص التطبيقية للخدمة الوطنية (1968-1976)**، مكتب الإعلام والصحافة، الجزائر، (بدون سنة).

6- المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم: **المعجم العربي الأساسي للناطقين بالعربية ومتعلميها**، لاروس (دون ذكر البلد)، 1989.

7- ب. أورسلان: **الحروب والسكان**. تر. رحمي وأحمد القصير، دار الطباعة الحديثة، القاهرة، 1974.

8- بن عبد الله عبد العزيز: **الجيش المغربي عبر العصور**، المكتبة العالمية، الرباط، 1986.

9 - سعد الدين الشاذلي: **الخيار العسكري العربي**. المؤسسة الوطنية للكتاب. الجزائر. 1984.

10- طلاس مصطفى: **الرسول العربي وقت الحرب. مطابع الإدارة السياسية للجيش والقوات المسلحة**، دمشق، 1972.

11- حماد مجدي: **العسكريون العرب وقضية الوحدة**. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت، 1987.

12- القشطيني خالد: **نحو اللاعنف**، دار الكامل للنشر والتوزيع، عمان، 1984.

13-العسلي بسام: **فن الحرب في عهود الخلفاء الراشدين والأمويين**، دار الفكر، بيروت، 1974.

14- السويدي محمد: **مقدمة في دراسة المجتمع الجزائري، تحليل سوسيولوجي لأهم مظاهر التغيير في المجتمع الجزائري المعاصر**، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1990.

15- **أخلاق مسيحية**، ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.

http://ar.wikipedia.org/wiki/. Télécharger .15/08/2014

باللغة الاجنبية:

1- **le petit larousse illustré**. Larousse. France. 2000.

2- CHAUVEAU Guy Michel :**Le service National**.la documentation française .Paris.1990 .

3-FPF : **Eléments de réflexion à propos du service national**. Date de parution : 17 janvier 1996. http://www.protestants.org.télécharger le 26/06/2000.

4- SENAT : **l'avenir du service national. Rapport N° 349/1995/1996// commission des affaires étrangères ; de la défense et des forces armées.**
http://www.senat.fr/etr . Télécharger 2/06/2000.